من صور التكافل في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ :

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه حديث الصحابي الجليل: جَرِير بن عبد الله البجلي ﷺ الذي قال فيه: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ -أَوْ الْعَبَاءِ- مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِن الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا، فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ صَعِدَ مِنْبَرًا صَغِيرًا، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، -وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ- : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر:١٨]، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ)، حَتَّى قَالَ: (وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِن الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجِزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِن طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ).

هذا الحديث العظيم الجليل قد اشتمل على خلق رفيع، وأدب بليغ، وتكافل بديع، وفيه فوائد عديدة تبين عظمة هذه الشريعة المتكاملة الوافية الشافية، ولله الحمد والمنّة، فمن ذلك:

أنَّ في قوله: (كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ -أَوْ الْعَبَاءِ- مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ): يصف الصحابي الجليل حال أُناس مِن المسلمين جاءوا إلى النبي ﷺ في منظر يثير الشفقة والرحمة والرأفة، في وقت قد اشتدّ حرّه، كاد الفقر – ناهيك عن الجوع والعطش- أن يَفتِكَ بهم، إذ هم حفاةٌ غير منتعلين، وشِبه عُراةٌ؛ إذ يغلب عليهم ذلك مِن ظاهر حالهم فهم (مُجتابي النمار): أي لبسوا هذا الكساء المخطط من الصوف، الذي عَمَدوا إلى تقويره؛ أي: بقطع وسطه، وعمل خرق مستدير فيه، ثم لبسوه، مع ما فيه من فتوق، ومع ذلك جاءوا –على الرّغم من فقرهم وحاجتهم- وقد تقلّدوا سيوفهم مستعدين لتلبية داعي الجهاد في سبيل الله حال صدور الأمر إليهم من رسول الله ﷺ دون إبطاء أو تردد، فلله درّهم رضي الله عنهم.

فهذه الحال الشديدة العُسْر، حينما يراها المسلمون في إخوانهم في أيّ بُقعة من العالم، تستوجب مُبادرة ومسارعة تتناسب مع حجم الموقف والحدث، ورُبما نسأل ماذا يجب عليهم حيالها إذا عاينوها؟!.

الجواب: الواجب يظهر في تعامل نبيّنا الكريم –صلوات ربي وسلامه عليه- مع هذا الحدث الوارد في هذا الخبر، حين رأى ما رآه من سوء حال هؤلاء القوم الذين قدِموا عليه، وما بهم من الفاقة والحاجة التي رُبما تصل إلى مرتبة الضرورة، ويُمكن أن نستشفّه ونستخلصه مِن خلال المواقف التالية:

١ - **الموقف الأوّل**: تَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أيّ تغيّر وجهه ﷺ وظهر عليه آثار الحزن، حين رَأَى ما بِهِمْ مِن الفقر الشديد المُدْقِع، وهذا ما ينبغي على أهل الإسلام مع إخوانهم، حين يرونهم قد اشتدت بهم الحاجة، أو نزلت بهم فاقة، وهذا الشعور والتفاعل دون شك من دلائل صِدق الأُخوّة والمحبة بين المسلمين، وهذه أقل الأحوال التي يُمكن أن يُبديها المسلم لأخيه، والمتمثلة في إظهار الحزن الشديد على ما نزل به أو أصابه، وهو مِن لوازم الأخوة الإيمانية والتراحم بين المؤمنين، الذي بيّنه نبينا الكريم ﷺ في قوله: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ: مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) متفق عليه، ثم إنّ هذا الشّعور والتفاعل –وهو إظهار الحزن الشديد على ما نزل بإخوانه أو أصابهم- إن ظهر منه، فإنه يدفعه إلى أن يُبادر ويُسارع إلى إعانة أخيه بكل ما في وُسعه قولاً وفعلاً على قدر استطاعته.

وفي هذا الموقف العظيم منه ﷺ يظهر لنا معنى قوله تعالى:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، يظهر عظيم رحمته ورأفته وشفقته بأمّته -صلوات ربي وسلامه عليه-.

ثم ﷺ إنّه مِن شدة حزنه وتأثّره اضطربَ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، ثم كان منه ﷺ **الموقف الثاني**:

٢ - وهو المبادرة إلى الصلاة (فَأَمَرَ بِلَالًا، فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ)، وهكذا كان ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى، كما رواه أبو داود في سننه بسند حسن عن حذيفة ﷺ، وفي رواية أنه فزع إلى الصلاة، صلوات ربي وسلامه عليه.

ولا شك أنّ ما أصاب هؤلاء القوم من المسلمين نازلة تَهمّ ومصيبة تغمّ، ولا ملجأ ولا ملاذ فيها إلا إلى الله تعالى، والاستعانة به سبحانه، بالفزع إلى الصبر والصلاة والدعاء وقت الشدة؛ كما أمر سبحانه في نحو قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ففعله ﷺ امتثالاً لأمر ربه عز وجل بالاستعانة بالصبر والصلاة، ثم يأتي بعدهما الفرج بإذن الله تعالى.

٣ -**الموقف الثالث**: تذكير الناس بحق إخوانهم عليهم، وما يجب عليهم تجاههم من الإعانة والنصرة والدعاء، ولذا فإنه ﷺ: (صَعِدَ مِنْبَرًا صَغِيرًا، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١]، -وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر: ١٨]، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ)، حَتَّى قَالَ: (وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ).

وأعظم وأجل ما يُوعظ به الناس هو كلام الله تعالى، ولذا ذكرهم النبي ﷺ بآية سورة النساء لأنها: أبلغ في الحث على الصدقة على إخوانهم، ولما فيها مِن تأكد الحق؛ لكونهم أخوة لهم، ثم ثنّى ﷺ بآية سورة الحشر لأنها: تذكّر كل نفس مؤمنة بأن تتفكر وتتأمل ما الذي قدمته من خير وعمل صالح ينفعها في الآخرة.

ثم إنّه ﷺ مع ما يعلمه مِن حال أصحابه ﷺ، مِن قلة ذات يد في كثير منهم، أمرهم بالصدقة فقال: (تَصَدَّقَ رَجُلٌ) جاء بصيغة الماضي التي بمعنى الأمر، فذكره بصيغة الإخبار مبالغة، فكأنّه أمره فامتثل مِن فوره، فأخبر عنه به، أي: أنه صار في حُكم الواقع لا المُتوقع.

وقيل: الأصل: ليتصدق رجل. بلام الأمر ولكنها حُذفت.

ثم تأمل كيف تدرج معهم النبي ﷺ مخاطباً جميع طبقات الناس، فصاحب الدنانير يُخرج من دنانيره، وصاحب الدراهم يُخرج من دراهمه، فإن لم يستطع فيُخرج من ثيابه، فإن لم يستطع فمن صاع طعامه؛ مِن بر أو تمر، فإن عجِز ولم يستطع فبشقّ تمرة، ولا يعجز عنها أحد في الغالب، وفي هذا دلالة على كمال هذه الشريعة ويُسرها على الخلق حيث جاءت مناسبة وملائمة –حين تدعو إلى خير وبذل وإحسان– لكل الأحوال، قال ﷺ كما في الصحيحين: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)، فلن تُعدم من عمل خير أبداً ولله الحمد والمنّة.

ثم إن المسلم عليه أن لا يحقر شيئاً مما يُخرجه ويتصدق به، فقد ثبت في الصحيحين مِن حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال: (إِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا–أي الصدقة– بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ، حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ).

وأيضاً نجد أنَّ النبي ﷺ عمَّ في الأمر بالصدقة جميع الصحابة ﷺ على مختلف أحوالهم، وهذا يُبين أنّ على كل واحد من المسلمين المساهمة بكل ما يستطيعه في دفع ما نزل بإخوانه مِن شدة وضيق، ولو كان في حالة ضيق أو عَوز، فبذله يكون على قَدْر حاله، وبما لا يشق عليه، وأجره – ولو بالقليل – أعظم وأبلغ، فقد ثبت عند النسائي وغيره أنه ﷺ قال: (سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ) قالوا: يا رسولَ الله! وكيفَ؟ قال: (رجلٌ لهُ دِرْهَمَانِ فأخذَ أحدَهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ، ورجلٌ لهُ مالٌ كثيرٌ فأخذَ مِنْ عُرْضِ مالِهِ مائةَ أَلْفٍ فتصدقَ بِهَا)، فالأول تصدق مِن قلة وضيق ذات يد، فكان من الأولين السابقين، وهذا يُبين لك عظمة هذه الشريعة الحكيمة.

وأيضاً في هذا الخبر إشارة وتنبيه إلى أنَّ العبرة في الصدقة بما يقوم في قلب المُتصدِّق لا بقَدْر ما يُخرجه، فإذا قام في قلبه صدق النية والاحتساب فإنه يكون أجره أعظم، فقد يُنفق شخص نفقة يسيرة، لكن بقلب مُوقن بما عند الله

عز وجل مع حسن ظن به عز وجل، فيستحضر أن ما عند الله تعالى خير وأبقى، وأنه سبحانه وتعالى يُخلف الصدقة، وأيضاً يريد بالصدقة الإحسان إلى المُتصدَّق عليه، فبهذه النية العظيمة يعظم الأجر ويكون أعظم ممن تصدق بصدقة كثيرة – عن غنى – وإن كان مخلصاً فيها، لكن ليست نيته كنية ذاك المُتصدِّق – ضعيف الحال – بيقين وحسن ظن بالله عز وجل، فيكون بين صدقتيهما كما بين السماء والأرض بحسب ما قام بقلبيهما، قال عبدالله بن المُبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: (**رُبَّ عملٍ صغير تعظِّمُهُ النيّة، وربَّ عملٍ كبيرٍ تُصَغِّره النيّة**).

وبينما النبي ﷺ يحدث أصحابه وانتهى، إذ جاء رَجُلٌ مِن الْأَنْصَارِ –مسارعاً ومسابقاً في الاستجابة لأمر الرسول ﷺ– بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجِزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ استجابة للنبي ﷺ ومقتدين بأخيهم فيما سارع إليه من عمل بر وخير، والصحابة رضي الله عنهم كانوا أسرع الناس استجابة لأوامر الله ورسوله ﷺ، ممتثلين أمر الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وكانوا رضي الله عنهم يسابقون ويسارعون في الخيرات ممتثلين أمره تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ﴾ [الحديد: ٢١]، وقد ضربوا رضي الله عنهم أروع الأمثلة في الامتثال لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ.

ثم إنَّ هذا هو الذي شُرع لأهل الإسلام، وهو المُؤمّل منهم في باب الخير، أي: المسارعة والمسابقة إلى الخيرات والبذل والعطاء في كل حين، فكيف إذا كان الأمر يتعلق بنازلة نزلت ومصيبة ألّمت بإخوانهم، لا شك أن المسارعة تكون آكد بل قد تجب كما الحال هنا.

ثم إنه لَمَّا تتابع الصحابة رضي الله عنهم في نصرة إخوانهم بكل ما يستطيعونه، تحقق بحمد الله تعالى المقصود من هذا الأمر وهو سدّ خُلّة إخوانهم وحاجتهم، فاجتمع كَوْمَيْنِ مِن طَعَامٍ وَثِيَابٍ، والكَوْم بالفتح المكان المرتفع كالرابية، فهو تشبيه بالرابية لكثرة ما اجتمع من الصدقات.

وفي هذا صورة جميلة للتكافل الإجتماعيّ بين المسلمين مع بعضهم بعضاً، تبيّن عظمة هذا الدين وما جاء به مِن التعاون كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله ﷺ: (وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) أخرجه مسلم، والتعاضد كما تقدم في الحديث: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ: مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) وقوله ﷺ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أخرجه مسلم، وفي لفظ: (وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) متفق عليه، وكذلك النُّصرة كما في قوله ﷺ في الصحيحين: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ) أَيْ: لَا يَتْرُكُهُ مَعَ مَنْ يُؤْذِيه وَلَا فِيمَا يُؤْذِيه ، بَلْ يَنْصُرُهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ، وَزَادَ الطَّبَرَانِيّ مِنْ طَرِيق أُخْرَى: (وَلَا يُسْلِمُهُ فِي مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ)، ومنه قوله ﷺ: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا) متفق عليه، وغير ذلك من معانٍ جليلة جاءت بها الشريعة الإسلاميّة تدور حول الاجتماع والائتلاف ولله الحمد والمنّة.

ثم إنّ المسلم حينما يرى حاجة إخوانه انقضت يفرح ويُسرّ، وهو مأجور على هذا الفرح ؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾ [يونس: ٥٨]، وهذا هو الذي وقع منه ﷺ: قال الراوي: حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، أي: يستبشر ويستنير فرحاً وسروراً كأنّ وجهه في إشراقِه وتلألُئِه وظهور البِشْر عليه فضة مموهة بالذهب.

فيفرح المسلم بفرح إخوانه ويسر بسرورهم، ويحزن لحزنهم، وهذا هو مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة، وهو ثمرة الإحسان إلى الخلق ونفعهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: **(ومَن أحبَّ أن يلحق بدرجة الأبرار، ويتشبه بالأخيار: فلينو في كل يوم تطلع فيه الشمس نفع الخلق فيما يسر الله مِن مصالحهم على يديه)** [الإيمان الأوسط].

ثم ختم ﷺ الخبر ببيان فضيلة صنيع هذا الأنصاري الذي سارع وبادر إلى الصدقة، مرغباً إيّاهم في الخير المستمر أجره بسبب الاقتداء، ومُحذراً لهم من الشر المستمر إثمه بسبب الاقتداء.

وفي ختام هذا البيان أذكر قصة لطيفة تُجسّد معنى التكافل والإيثار والبذل والعطاء بين أهل الإسلام عموماً وبين علماء وسلف هذه الأمة خصوصاً: روى الخطيب البغدادي في كتابه [تاريخ بغداد ٩/ ٣٠٥]: أنَّ أبا جَعْفَر محمد بن عبد الرحمن الصَّيرفيُّ يقول: بعثَ إليَّ الحكم بن مُوسى في أيام عيد أنه يَحتاج إلى نفقةٍ، ولم يك عندي إلا ثلاثة آلاف دِرْهم، فوجَّهتُ إليه بها، فلمَّا صارت في قَبْضَتِه، وجَّه إليه خَلاَّد بن أَسْلم أنه يحتاج إلى نفقةٍ، فوجَّه بها كلها إليه، واحتجتُ أنا إلى نفقة، فوجَّهْتُ إلى خَلاَّد: إني أحتاجُ إلى نفقة، فوجَّه بها كلها إليَّ، فلما رأيتُها مَصْرورة في خِرْقتها، وهي الدراهم بعينها، أنكرتُ ذلك، فبعثتُ إلى خَلاَّد: حَدِّثني بقصَّة هذه الدراهم؟ فأخبرَني أنَّ الحكم بنَ موسى بعثَ بها إليه. فوجَّهتُ إلى الحكم منها بألفٍ، ووجَّهتُ إلى خَلاَّد منها بألف، وأخذتُ أنا منها ألفاً. وقد روى الخطيب أيضاً في تاريخه (١٦/ ٤١١) نحو هذه القصة للإمام الحافظ يعقوب بن شيبة السَّدوسيّ مع بعض إخوانه.

ثم إنَّ المسلم عليه أن لا يحقر شيئاً مما يُخرجه ويدفع به عن إخوانه؛ فقد ثبت في الصحيحين من حديث عديِّ بن حاتم ﷺ أنه ﷺ قال: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)، ورُوي في الحديث أنَّ أفضل الصدقة: (جُهدٌ مِن مُقلٍّ أو سِرٌّ إلى فقير) أخرجه أحمد في مسنده، ويشهد له الحديث المتقدم: (سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ).

والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه/ الفقير إلى عفو ربه

فهد بن عبداللطيف بن فهد الوصيفر

١٠/ ٠٩/ ١٤٣٢